AYAAT ILM ACADEMY
أكاديمية آيات للعلوم الإسلامية

المستوى الأساسي

منهج التزكية

الفصل الدراسي الأول

تزكية ١٧١

تأليف

د. محمد عزب

دكتوراه في الفلسفة جامعة القاهرة

مدرس أصول الدين والدعوة جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

التزكية

وفق منهج أهل السنة والجماعة

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

يتجه كثير من المهتمين بمعارف القرآن والسنة للدراسات التنظيرية، ويهتمون بها اهتماما بالغًا، وفي ظل الاهتمام بالدراسات التنظيرية كأصول الفقه والفقه وعلوم الحديث والتفسير وعلوم القرآن، وغيرهما من علوم الدين المؤسسة لحضارته- تُترك علوم تمثل الغاية من معارف الوحي، وتمثل الوجه التطبيقية والانعكاس الحقيقي لمعارفه، فما قام الفقه إلا على بيان سبل تصحيح العبادة، والعبادة لا ينحصر الأمر فيها في جوانب الصحة، بل جانب القبول هو الذي يترتب عليه الأجر، فما قيمة صلاة تتوفر فيها الأركان والشروط، ولا يُراد بها وجه الله تعالى، وما قيمة زكاة تخرج وفق النصاب من مال اكتسبه صاحبه من حرام، أو منَّ به على من أعطاه له.. وهكذا في تعلم العلم الذي يشمل ذاك كله.

لقد جاءت الشريعة تأمر بتطهير باطن الإنسان بالتوازي مع تطهير ظاهره، وعلوم تطهير الباطن تمثل حجر الزاوية في العمل، وتمثل رابطة العقد في السعي للدار الآخرة، ولا يمكن لحركة الإحياء لعلوم الدين أن تتم وهي تهتم بالتنظير على حساب التطبيق، بل لا بد أن يسير التطبيق والتنظير وفق مسار واحد لا يتأخر أحدهما عن الآخر، لأن العمل له جوانب تلزم لصحته، وجوانب تلزم لقبوله.

يضاف لذلك أنه يلحظ من حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أن رتبة الإحسان تعلو رتبة الإسلام والإيمان، ورتبة الإحسان تعني عبادة الله تعالى وفق استحضار وجوده في كل بادرة أو خاطره، ألم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سئل عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»؟

فعبادة الله تعالى بالمراقبة والإخبات والذل والمحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل.. إلخ هو ما تقوم عليه رتبة الإحسان التي نعني بها مؤلفات السلوك والتزكية.

فالتزكية هي الوصول بالشخص لحالة من النقاء التي ينال بها درجة الإحسان، وفي سبيل ذلك لا بد أن يمر الطريق على سائر أركان الإسلام وسبل تحقيق معنى التزكية فيها.

وكذلك المنازل التي ترتقي به وتشمل عبادات قلبية تعرف بالمقامات والأحوال.

وتشمل التزكية أخلاق يجب أن يتحلى بها من أراد السير في طريق الله.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

إن كثيرا من الناس حين يفقد منهج التزكية، فإن سلوكه يعوجُّ، وأخلاقه تميل به، وينعكس هذا بالضرورة على نفسه ومجتمعه، فإذا لم يكن ممن يراقب الله في خلواته كما يراقبه في جلواته فإنه يفعل المنكر غير هياب للعقوبة، ويتجرأ على المعصية غير عابئ بما يترتب عليها.

فضلا عن حالة الحزن والأرق التي تلازم من لا يعني بتزكية نفسه، وتهذيب سلوكها ويحاول الوصول بالعبادات إلى غاياتها.

هذا المقرر لبنة على هذا الطريق يعني في موضوعاته الثمانية تلك لبعث روح العبادة في نفس المتعبد، ويلفت نظره إلى أسرارها وضرورة أن تكون حاضرة في نفسه تملأ عليه كيانه، وتملأ عليه جوارحه، يبدأ بالتعريف بالتزكية وأهميتها ويثني بتناول القلب ووسائل إصلاحه، ثم تعظيم الله تعالى ووسائل تحقيق ذلك.

ويتناول بعض الآداب والأسرار القلبية للصلاة والزكاة، والصيام والحج، ثم عبادة التفكر وأهميتها ومطلوبيتها، ثم الصدق كمنزلة من منازل المحسنين.

لقد حاولنا ألا ننزلق إلى أحكام تكفلت بها مناهج وعلوم أخرى، بل كانت عنايتنا في المقام الأول بالتعرف على الأسرار والآداب للعبادات الأربع، والتي جاء تلوها عبادة التفكر وهي العبادة الغائبة عن كثير عن أذهان المتعبدين، وأخيرا الحديث عن الصدق وأسراره وآثاره في الفرد والمجتمع.

إننا في هذه العجالة لا يمكننا تناول كل ما يخص التزكية، ولا كل ما يُعين عليها، لكن في تناول ما يتعلق بها فيما يخص الأركان الأربعة، وما يسبقها وما يتلوها من العبادات والمنازل؛ لهي فتح الآفاق أمام الدارس لينزل بنفسه ويقف على بقية العبادات وخاصة القلبية، ويتعرف كيف يصل بعبادته وأخلاقه وسلوكه لمنزلة الإحسان، ويتحقق إيمانه في الغيب بنفس درجة تحققه في الشهادة.

إن التربية الإسلامية تعنى بتربية الاستقامة في الفرد، لتكون عباداته الظاهرة مظهرا يدل على عباداته الباطنة، وتكون أخلاقه الظاهرة دلالة على أخلاقه الباطنة، فاستواء الظاهر والباطن هو الخطوة الأولى لمنهج التزكية، التي تحقق الفرد الصالح، الذي ينتقل من الصلاح إلى الإصلاح عملا بقول الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: 110)

فلا يمكن لتارك الأمر أن يمارس الأمر، ولا يمكن لفاعل النهي أن يمارس النهي، وهكذا فالفرد الصالح هو اللبنة الأولى للفرد المصلح الذي تتحقق فيه وصف الخيرية.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

إنك أخي الدارس مدعو لأن تبحث عن مراجع مادة التزكية التي تمثلها كتب الرقائق والطبقات والتراجم، وشعب الإيمان والأسماء الحسنى، وتقف على تجارب أصحاب التزكية، لتنتقل بنفسك من عالمها إلى الملأ الأعلى، وتنتقل بإيمانك من علم اليقين إلى عين اليقين.

وهذه لبنات لك على الطريق نسأل الله أن تقع عنده موقع القبول، وتقع منك أخي الدارس موقع الاستحسان، فقد صغناها بلغة سهلة المأخذ قريبة الملتمس، وكان مرورنا على الموضوعات بغير إغراق ولا إسهاب، واستصحبنا الدليل في أكثر ما ادعينا وكتبنا، فالحمد لله أولا وآخرا.

د. محمد عزب

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الأولى

التزكية

Ayaat Academy

المحاضرة الأولى

التزكية - تعريف وأهمية

عناصر المحاضرة:

- تعرف التزكية لغة واصطلاحًا
- أهمية التزكية على مستوى الفرد والمجتمع
- مجالات علم التزكية
- أقسام تزكية النفس، ووسائل تزكيتها

تعريف التزكية لغة واصطلاحًا

التزكية: هي التطهير، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[1] أي: أفلح من طهَّر نفسه من الذنوب، وأصل التزكية نفي ما يُستقبح قولا أو فعلا[2]، والتزكية إخراج الزكاة، ونجح بالتزكية: أي بدون منافس، وزكى فلانا أي: عدَّله وشهد باستحقاقه لشيء.[3]

التزكية اصطلاحا: هي نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم.

ويمكن أن نقول: إنها السعي في تطهير النفس من أمراضها، وإكسابها الفضائل والأخلاق الحميدة.

أهمية التزكية

تتجلى أهمية التزكية في كونها غاية من غايات إرسال الرسل.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[4]، وقال الله تعالى آمرا موسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾.[5]

وجعل الفلاح في التزكي وقبول الشرائع والعمل بها قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾.[6]

وقسَّم النفوس إلى نوعين: نفس زاكية متطهرة، ونفس فاجرة، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا

---

[1] الشمس: 9

[2] التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 96)

[3] شمس العلوم (5/ 2819)، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص: 96)

[4] الجمعة: 2

[5] طه: 17-18

[6] الأعلى: 14، 15

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.[7]

وجعل الجنة جزاء لأهل التزكية والتطهر، فقال سبحانه: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.[8]

وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ».[9]

أهمية التزكية للفرد

التزكية للفرد لا يستغني عنها بحال، فهي تتعلق بتطهير قلبه واستقامة نفسه، ورب العالمين يقول: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[10]

والتزكية تتعلق بدوام ملازمة التوبة، وملازمة الخوف من الله تعالى، والرجاء فيه تعالى، وحسن التوكل عليه والإنابة والمحبة والشوق. كما أنها تتعلق بترك المنهيات كالغل والحقد والحسد والغيبة والنميمة، وشدة الحرص على الدنيا والتحسر على ما فات منها. ولا شك أن تزكية الفرد لنفسه في جانب المأمورات، وجانب المنهيات تجعله يشعر دائما بالسعادة.

أهمية التزكية للمجتمع

المجتمع الذي يهتم أفراده بالتزكية تشيع فيه روح الاستقامة، وتتجلى فيه معاني الأخوة الحقة، وتختفي فيه أمراض الحسد والحقد، وتنتهي منه علامات النفاق والتدابر، وهو مجتمع آمن، كل فرد فيه حريص على غيره، وإنما نبع حرصه على غيره من استقامة نفسه، ونقاء قلبه،، فالفرد في المجتمع الذي يتزكى يتسامح مع الجميع، ويبذل الخير للجميع، فلا يعيب على مبتلى، ولا يستحل مال الناس تحت أي ذريعة، لا يغش ولا يخدع، ثم هو لا يفعل الحرام ولا يهم به، وإن وقع منه عاد سريعا إلى ربه تائبا؛ والمجتمع الذي يتزكى أفراده هو المجتمع المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[11]، فلا يتأتى له هذا إلا لذي القلب الزكي، والنفس الطاهرة.

---

[7] الشمس: 8

[8] طه: 76

[9] أخرجه أحمد، والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم

[10] الشعراء: 88 - 89

[11] رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (2586)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

نشأة علم التزكية والتدوين فيه

نشأ علم التزكية قديمًا جدًا، مع دخول المجتمع عصر الفتوحات، وبداية الاختلاط بالأمم المترفة، ومحاولة بعض الفاتحين الانخراط في مظاهر الترف والإسراف التي كانت عليها الأمم، فضلا عما نشأ عن الفقه الذي انتهى إلى تجريدات ذهنية بعيدة عن مخاطبة الروح، وغدا أقيسة ومصطلحات تعني بصحة العبادة لا قبولها.[12]

مجالات علم التزكية

علم التزكية أخذ مجالات شتى؛ فمجال علم التزكية الأول هو حركات الزهد التي امتلأ بها المجتمع الإسلامي في عصوره الأولى، ثم تطورت من حركة تنعكس على الفرد إلى موجة تأليفية، فظهرت كتب الزهد التي كان منها الزهد لابن المبارك (181هـ)، والزهد لأسد بن موسى (212هـ) والزهد للإمام أحمد (241هـ) والزهد لابن أبي الدنيا (281هـ)، ثم انتقل لمجال التأليف في أعمال القلوب، ثم تطورت لترسم صورة التزكية عند أصحاب التجارب، فكان منها التأليف في الطبقات، كطبقات السلمي، وحلية أبي نعيم، ثم كان ما وضعه الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين، وهو كتاب فريد في بابه، حاول أن يضم للفقه أعمال القلب المتعلقة بالعبادة، ورياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، وكان لها لون آخر من التدوين في مصطلحات تختص بالتزكية، كالمقامات والأحوال، فكان منها الرسالة للقشيري، ومنازل السائرين للهروي، ثم تنوعت بعد ذلك تنوعًا كبيرًا. ويمكن أن يكون كتاب الأدب المفرد، وما أُلف في شعب الإيمان يدخل في هذا أيضا.

أقسام تزكية النفس

تزكية النفس لها مداران:

الأول هو: تزكيتها بالفضائل الحميدة، كالبر والإخلاص والزهد، والإحسان، والمراقبة والورع، والتوبة، والتواضع والصدق ... إلخ.

الثاني: تزكيتها بمنعها من الأخلاق السيئة، كالكذب والنميمة، والغش والخداع، والأذى والقطيعة والسخرية، والبذاءة، والكبر، والفحش ... إلخ.

[12] كيف نتعامل مع القرآن، محمد الغزالي (ص: 70)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

وسائل تزكية النفس

لتزكية النفس وسائل عديدة منها:

1- ملازمة التوبة، فإنها طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[13]

2- تدبر القرآن، فهو جلاء القلوب وإذا صفى القلب زكت النفس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[14]

3- المحافظة على الفرائض، فليس هناك أفضل من التقرب إلى الله تعالى بفعل ما فرضه على عباده من أوامره ونواهيه، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»[15]

4- الإكثار من النوافل، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى: ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))[16]

5- محاسبة النفس ففي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[17]

6- زجر النفس وحملها على الطاعة، قال الغزالي: (... إن لازمت نفسك بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها)[18]

7- مصاحبة الصالحين وأهل الإيمان، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم، «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[19]

8- ديمومة الذكر، قال ابن القيم: (الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب، وهو جلاء

---

[13] النور: 31
[14] الأنفال: 2
[15] رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم (6502)
[16] رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم (6502)
[17] رواه الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (2459) وحسنه.
[18] إحياء علوم الدين، للغزالي (4/ 416)
[19] رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (4833)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء)[20]

والذكر أكبر من كل ما يتقرب به العبد لربه: قال الله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[21]

9- وفي الحديث عن عبد الله بن بسر، أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله»[22]

10- البعد عن الرياء والعجب، فإنهما من أكثر ما يفسد النفس، ويعكر صفاء القلب، قال الغزالي: (النفس قد أبطنت الرياء تزينا للعباد، وتصنعا للخلق، وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال، وقد أثبت اسمه في جريدة المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون)

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[23]

خلاصة المحاضرة

- علم التزكية من العلوم التي لا يستغني عنها الإنسان في مراحل حياته كلها
- التزكية أحد المقاصد العليا للشريعة؛ لأنها في الأساس تعني بتحريك كوامن الخير في الإنسان وجعل نفسه ترتبط بمعالي الأمور
- التزكية النفسية لها آثار على الفرد والمجتمع، ولها أثر نفسي في شعور المرء بالاطمئنان
- التزكية مجالاتها عديدة: منها الزهد، منها الأخلاق، منها منازل السلوك، ومنها شعب الإيمان
- على المرء أن يحرص على كل ما يربطه بربه تعالى، فيداوم على الاستغفار، ويكثر من الذكر، ويكون له ورد يومي من القرآن لا يتخلف عنه، ويداوم على أذكار الصباح والمساء، ولا يهمل في السنن، وليكن له أيام يصومها، ولا يتخلف عن مجلس ذكر ما أمكنه، وليحرص على بر والديه، وصلة أقاربه، والتهجد بالليل كيفما تيسر له، وليعلم أنه إذا طرق على الله الباب فإنه لا يحال بينه وبين الله بحائل، سواء دخل على الله نهارا

[20] مدارج السالكين، لابن القيم (2/ 395)
[21] العنكبوت: 45
[22] رواه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر (3375)، وقال حسن غريب.
[23] رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (2564)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

أو ليلا

- لا تجعل المعصية تعكر عليك صفو حياتك، فكل الناس من أهل المعاصي، والسعيد من تجاوز المعصية بسرعة التوبة، ولم ييأس من القبول

الأسئلة:

- عرف التزكية لغة واصطلاحا
- تناول بالدليل أهمية التزكية ومجالاتها
- اشرح بعض وسائل التزكية.

1. هل كان المضمون جديدا عليك؟	
2. هل أضافت المحاضرة إلى معلوماتك شيئا جديدا؟	
3. هل لبت المحاضرة بموضوعها تصورك عنها قبل؟	
4. هل الوقت كان كافيا واستغله المحاضر بمهارة في توصيل المعلومات؟	
5. هل تم عرض الموضوع بشكل منطقي ومتسلسل خلال المحاضرة؟	
6. هل الأدلة التي قدمها على العناصر كافية؟	
7. هل تحتاج لمراجعة المحاضر في بعض الجزئيات؟	

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الثانية

القلب

(أهميته وأمراضه وعباداته)

المحاضرة الثانية

القلب (أهميته وأمراضه وعباداته)

عناصر المحاضرة:

في نهاية هذه المحاضرة يستطيع الطالب أن:

- يعرف القلب ويذكر أقسامه
- يشرح سبل الارتقاء بالقلب وطرق علاج أمراضه
- يدلل من القرآن والسنة على أهمية القلب

التعريف بالقلب

القلب: هو خالص الشيء، وأشرف ما فيه، وهو الفؤاد، وقيل: الفؤاد أعم منه، وهو محض كل شيء، وسمي قلبا لتقلبه.

والقلب: رد الشيء من جهة إلى أخرى، كقلب النقود من وجه لوجه، وقلب الكتاب... وهكذا[24]

القلب اصطلاحا:

1- لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان[25].

2- هو الروح الانساني المتحمل لأمانة الله المتحلي بالمعرفة المركوز فيه العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد بقوله بلى فهو أصل الآدمي ونهاية الكائنات في عالم المعاد[26].

والفرق بين الأول والثاني؛ أن الأول يعبر عن الشيء الذي لا يختص بالإنسان، والثاني: هو المختص بالإنسان دون سائر الكائنات.

[24] مقاييس اللغة (5/ 17)، وتاج العروس (4/ 70)
[25] معارج القدس (ص: 16)، والتعريفات (ص: 178)
[26] معارج القدس (ص: 17)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

القلب وإطلاقاته

القلب هو محل النفس والعقل والعلم والفهم والعزم.[27]

والقلب في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: القلب الذي هو محل النفس؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[28]

والثاني: الرأي؛ ومنه قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.[29]

والثالث: العقل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.[30]

أهمية القلب في الإسلام

القلب في الإسلام عليه مدارات كثيرة، إذ القلب هو محل العمل، ومحل الإخلاص ومحل الأعمال الباطنة، كما أن القلب محل الأمراض الفاتكة التي تهلك صاحبها وترديه، وتجعله يخسر دنياه وأخراه.

وفي الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».[31]

وأغلب ذكر القلب في القرآن يأتي جمعا (قلوب) مضاف للضمير فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[32]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[33]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[34]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[35]، وقوله تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾.[36]

وتتجلى أهمية القلب في التالي:

1- أن القلب مكان التكليف، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم».[37]

---

[27] نزهة الأعين النواظر (ص: 482)
[28] الحج: 46
[29] الحشر: 14.
[30] ق: 37
[31] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (52)، ومسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم (1599).
[32] البقرة: 7
[33] البقرة: 74
[34] البقرة: 88
[35] آل عمران: 8
[36] آل عمران: 103
[37] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (2564)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

2- طهارته شرط دخول الجنة: لذا ذم الله خبثاء القلوب فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيْمٌ﴾[38]

3- بصلاحه يصلح سائر الجسد، ففي الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[39]

4- لا ينفع في الآخرة إلا القلب السليم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[40]

5- لا ينتفع بالحكمة إلا أصحاب القلوب الحية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[41]

أنواع القلوب في القرآن والسنة

القلب في القرآن له ثلاثة أقسام:

القلب السليم:

وعرفه ابن القيم بقوله: الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والذل له وإيثار مرضاته.[42]

وصفاته في القرآن هي: مطمئن، منيب، وجِل، سليم، لين، الرأفة والرحمة، الخاشع، عليه سكينة، مخبت

فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[43]

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[44]

وانظر: الشعراء: 89، الزمر: 23، الحديد: 27، الحديد: 16، الفتح: 4، الكهف: 14، الحج: 54، الأعراف:

---

[38] المائدة: 41

[39] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (52)، ومسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم (1599).

[40] الشعراء: 88 - 89

[41] ق: 37

[42] إغاثة اللهفان 1/ 7.

[43] الرعد: 28

[44] الحج: 35

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

101، الأعراف: 100، محمد: 6، المائدة: 13، الأنعام: 43، الحج: 53، الزمر: 22، محمد: 24، الأنعام: 25.

القلب الميت:

وعرفه ابن القيم بقوله: القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط.[45]

وصفاته في القرآن هي، مطبوع عليه، قاسٍ، مقفل، مكنون، عليه رَان، مختوم، مغلف، مرعوب، مشمئز، لا يَفْقه، لا يَعقِل، مُنكِر، مغمور.

فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[46]، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[47]

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾[48]

القلب المريض:

وعرفه ابن القيم بقوله: قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه.[49]

صفاته كما وصفها القرآن: مريض، لاهٍ، زائِغ، غافِل، أعْمَى، غليظ، مفرّق، عليه حسْرة، مخالِف للقول، مُرْتاب، فيه نِفاق، مصروفٌ عنِ الحق.

[45] إغاثة اللهفان 1/ 9.
[46] الحج: 53
[47] محمد: 24
[48] الأنعام: 25
[49] إغاثة اللهفان 1/ 9.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

علامات القلب السليم وكيفية الارتقاء به

القلب السليم هو ما سلم من ستة أدواء:

سلم من: الشرك، الجهل، الكبر، الغفلة، وحب الدنيا، سوء الأخلاق.

وهو القلب الذي يكون همه كله في الله وقصده له وبدنه له وأعماله له ونومه له ويقظته له وحديثه، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، وطمأنينته وسكونه إليه فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨))[50].

الارتقاء بالقلب

إذا أراد المرء أن يحلق بقلبه حيث أراد ربه فعليه التالي:

1- أن يديم ذكر الله تعالى، ولا يفتر عنه، فإن ذكر الله يذيب قساوة القلب.

2- أكل الحلال واتقاء الشبهات كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما السابق.

3- مطالعة القلب للأسماء الحسنى والصفات العلى.

4- مجانبة المعاصي والبعد عن مقارفة الذنوب.

5- التوبة من قريب حين وقوع الذنب قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ)[51].

6- أن يعود نفسه الاشتياق إلى الطاعة كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب.

وفي الحديث: «يا بلال، أقم الصلاة، وأرحنا بها».[52]

وفي الحديث أيضا: قال صلى الله عليه وسلم: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».[53]

أمراض القلوب وعلاجها

قال الغزالي رحمه الله: كل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله.[54]

ومرض القلب: هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره للحق، وإرادته له، فلا يرى الحق حقًا، أو يراه خلاف ما هو عليه، أو ينقص إدراكه له، وتفسد به إرادته له، فيبغض الحق النافع، أو يحب الباطل الضار، أو

---

[50] الفجر: 27، 28

[51] آل عمران: 135

[52] مسند ابن أبي شيبة (2/ 412)

[53] رواه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (3940)

[54] إحياء علوم الدين (3/ 59)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

يجتمعان له وهو الغالب.

وقَسَّم ابن القيم مرض القلب إلى قسمين:

قِسمٌ لا يتألم به صاحبه في الحال، كمرض الجهل، والشبهات، والشكوك، والشهوات؛

وقِسم مؤلم له في الحال: كمرض الهم والغم والغيظ.

ومرض القلب أن يتعذر عليه ما خلق له من المعرفة بالله، ومحبته، والشوق إلى لقائه، والإنابة إليه، وإيثار ذلك على جميع شهواته.

وجماع أمراض القلوب هي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.

أما علاج أمراض القلب فأعظم علاجه يكون بالقرآن، فهو شفاء للشبهات والشهوات معا؛ ومن علاج القلب التوبة، فإنها من أعظم أسباب علاجه، ومنها علاجه بالطاعات والمحافظة عليها، فإن القلب إذا تعلق بالله حافظ على أوامره من التضييع، واجتنب نواهيه أن يفعلها.

خلاصة المحاضرة

- القلب له إطلاقات شتى
- القلب محل العمل ومحل التكليف
- أعظم العبادات هي العبادات القلبية
- القلوب ثلاثة أقسام: سليم، وميت ومريض
- وضعت الشريعة أسبابا لعلاج مرض القلب والارتقاء به

الأسئلة:

- تناول أقسام القلب ودلل على كل قسم من القرآن.
- اشرح الوسائل التي تعين على شفاء القلب من أمراضه.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الثالثة

محبة الله ورسله ودينه.

Ayaat Academy

المحاضرة الثالثة

محبة الله ورسله ودينه

عناصر المحاضرة:

- الانتباه بمعنى محبة الله تعالى ورسله ودينه
- توضيح أهمية محبة الله تعالى
- شرح الأسباب الجالبة لمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم
- التذكير بالأسباب المانعة من المحبة

معنى محبة الله ورسله ودينه

تعريف المحبة: المحبة هي عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذ؛ ومحبة الله تعالى للعبد إنعامه عليه، ومحبة العبد له طلب الزلفى لديه.[55]

والمحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه، كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر.

ومحبّة العبد ربّه انفعال النّفس نحوَ تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدّفاع عن دينه، فهي صفة تحصل للعبد من كثرة تصوّر عظمة الله تعالى ونِعمه حتّى تتمكّن من قلبه، فمنشؤها السمع والتّصوّر، وليست هي كمحبّة استحسان الذّات.[56]

أهمية محبة الله تعالى ورسوله

قال الغزالي: اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبًا لله تعالى.[57]

ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة، ولوازمها والنهي عن محبة ما يضادها وملازمتها وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبتين، وذكر قصصهم ومآلهم ومنازلهم وثوابهم وعقابهم، ولا يجد حلاوة الإيمان بل لا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.[58]

كما أن محبة الله تعالى ورسوله ليست ترفا ولا نافلة، ولا تطوعا يقوم بها المرء إن أراد، بل هو لازم من

---

[55] المفردات في غريب القرآن (ص: 215)
[56] التحرير والتنوير (6/ 237)
[57] إحياء علوم الدين (4/ 315)
[58] إغاثة اللهفان (2/ 133)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

لوازم الإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[59].

ولا يجد المرء لإيمانه لذة بغير محبة الله ورسوله؛ ففي الحديث: عن أنس -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»[60].

وفي الصحيحين عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».[61]

وأصل المحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها، وخلق خلقه لأجلها: هي محبته وحده لا شريك له، المتضمنة لعبادته دون عبادة ما سواه فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل ولا يصلح ذلك إلا لله عز وجل وحده.

معنى محبة الله تعالى

قال النووي: أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب؛ والميل على أنواع:

1- ميل ومحبة لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها.

2- ميل ومحبة لما يستلذه بعقله للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقا.

3- ميل ومحبة لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جمع من جمال الظاهر والباطن وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم والإبعاد من الجحيم.

وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى.[62]

إن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو

---

[59] التوبة: 24
[60] متفق عليه
[61] متفق عليه.
[62] شرح النووي على مسلم (2/ 14)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها.[63]

أما علامة حب الله تعالى فقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلامة حب النبي -صلى الله عليه وسلم- حب السنة، وعلامة ذلك كله حب الآخرة.

وقال غيره: محبة العبد لله ورسول طاعته لهما واتباعه أمرهما.[64]

ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل.[65]

ولا بد في المحبة من أمرين:

1- قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، فإن القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه.

2- قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها.

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

إن محبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هي دليل الإيمان الصادق مصداقا لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين».[66]

وليس هذا الحب مجرد عاطفة جوفاء، وإنما هو حب حقيقي نابع من القلب ومن العقل معا، ودليل صدق تلك المحبة هو اتباع المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في كل ما أمر به، أو نهى عنه، فالمحب مطيع دائما لمن يحبه.

[63] إحياء علوم الدين (4/ 294)
[64] تفسير القرطبي (4/ 60)
[65] تفسير السعدي (ص: 236)
[66] رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (14)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

وفي التنزيل الحكيم: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)[67].

الأسباب الموجبة لمحبة الله

الاشتياق لتحقيق محبة الله تعالى غاية كبرى عند كثير من الناس، وكثير يتطلع للوصول لها وإليها، وهناك أسباب عديدة يمكن للمرء أن ينال بها محبة الله تعالى منها:

1- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

2- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

3- دوام ذكره، باللسان والقلب؛ فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

4- إيثار محابه تعالى دائما عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

5- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

6- مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.

7- انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى؛ وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

8- الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

9- مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر.

10- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.[68]

الأعمال المانعة محبة الله

يحال بين المرء وربه تعالى بجملة من الأعمال، ولا شك أن المعاصي من أعظم ما يحول بين العبد وربه، وكلما ولغ الإنسان في المعاصي كلما استجلب مقت الله وغضبه، قال الله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[69].

---

[67] آل عمران: 31
[68] مدارج السالكين (3/ 18)
[69] التوبة: 67

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

قال ابن القيم: "إن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرؤن على معاصيه ما قدروه حق قدره، وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه أو يكبره أو يرجو وقاره ويجلُّه من يهون عليه أمره ونهيه؟!، هذا من أمحل المحال وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه".[70]

ومن أعظم المعاصي الشرك، في القول أو الفعل، وسوء الظن بالله تعالى، وتسخط أقدار الله تعالى، وديمومة السؤال عما لا تبلغه العقول ولم تكلف بالبحث عنه، والنفاق في القول والاعتقاد، ومن الحوائل بين العبد وربه الإصرار على المعاصي والمجاهرة بها، وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين ...»[71]، ويمكن الإشارة أيضا للتالي:

1- مناقضة القول الفعل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾

2- الغلظة وسوء الطباع، وفي الحديث: عن أبي هريرة قال، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة».[72]

3- التفحش في القول والفعل، وفي الحديث: عن أبي الدرداء، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن أثقل ما وضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء».[73]

4- الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم: قال الله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾

---

[70] الداء والدواء (ص: 46)

[71] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه برقم (6069)

[72] صحيح ابن حبان (1/ 274) وجاء في هامشه ما يلي:
السخب والصخب: بمعنى الصياح. والجعظري: الفظ الغليظ المتكبر، وقيل: هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وفيه قصر. والجواظ: الجموع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال في مشيته

[73] صحيح ابن حبان (12/ 508)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

مآلات امتلاء القلوب بمحبة الله ورسله ودينه

إن أعظم ما يناله المرء من محبة الله تعالى هو القبول بين أهل الأرض وأهل السماء، وقد امتن الله على سيدنا موسى بقوله: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)[74]، وفي الحديث عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»[75]، وحين يمتلئ قلب المرء بمحبة ربه تجده يراعي التالي:

1- كثرة ذكره تعالى والهيام به في المنشط والمكره.

2- الإقبال على حديثه وإلقاء سمعه كله إليه.

3- محبة دار المحبوب وبيته حتى محبة الموضع الذي حل به وهذا هو السر الذي لأجله علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام حتى استطاب المحبون في الوصول إليها هجر الأوطان والأحباب.

4- ومنها محبة أحباب المحبوب.

5- ومنها انجلاء همومه وغمومه إذا زار محبوبه أو زاره وعودها إذا فارقه.

6- ومنها بذل المحب في رضا محبوبه ما يقدر عليه مما كان يتمتع به بدون المحبة.

خلاصة المحاضرة

- أسعد الخلق حالا في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى.
- مدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بمحبة الله ورسوله.
- لا يجد المرء لإيمانه لذة بغير محبة الله ورسوله.
- علامة حب الله حب القرآن.
- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض من أسباب المحبة.
- المعاصي من أعظم ما يحول بين العبد وربه، وأعظمها الشرك بالله تعالى.

[74] طه: 39

[75] رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (3209)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

- القبول بين أهل الأرض وأهل السماء ثمرة من ثمار محبة الله تعالى.

الأسئلة:

- اشرح معنى محبة الله إجمالا.

- دلل على أهمية محبة الله ورسوله.

- تناول من خلال دراستك ثمرة محبة الله ورسوله.

- قارن بين الأسباب الجالبة للمحبة والمانعة منها من حيث توزعها على القلب والجوارح.

هل كان موضوع محبة الله ورسوله جديدا عليك بعناصره؟	
هل أضاف الموضوع لما عندك جديدا	
هل تناولت المحاضرة كل ما يدور بذهنك حول محبة الله ورسوله؟	
هل الوقت كان كافيا في إيصال الموضوع؟	
هل تم عرض الموضوع بشكل منطقي ومتسلسل خلال المحاضرة؟	
هل الأدلة التي قدمها على العناصر كافية؟	
هل تحتاج لمراجعة المحاضر في بعض الجزئيات؟	
هل تحتاج لمحاضرة ثانية في ذات الموضوع بتفصيل أكثر؟	

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الرابعة

وسائل وآليات تعظيم الله ورسله ودينه

المحاضرة الرابعة

وسائل وآليات تعظيم الله ورسله ودينه

عناصر المحاضرة

في نهاية هذه المحاضرة يستطيع الطالب أن:

- يوضح معنى تعظيم الله وتوقيره
- يشرح مظاهر تعظيم الله في العبادات
- يذكر بالوسائل المعينة على تعظيم الله تعالى
- ينبه بوسائل تعظيم الرسل
- يبين مظاهر تعظيم الله في العبادات
- يشرح الأعمال الدالة على عدم رسوخ عظمة الله في القلوب

معنى تعظيم الله وتوقيره

من العبادات القلبية التي تزكي الإنسان وتطهر نفسه أن تعظيم قدر الله تعالى، وأن يكون الله تعالى في قلب المرء أعظم مما سواه، وانظر لهذه الحالة العجيبة التي سجلها القرآن على لسان طائر، وهو يستنكر سجود الناس لبعض المخلوقات، وغفلتهم عن تعظيم الله تعالى: (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦))[76].

إن أعرف الناس به أشدهم لله تعظيما وإجلالا؛ وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال الله تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)[77]، قال مقاتل: يقول ما لكم لا تخشون لله عظمة، وقال ما لكم لا تخافون يعني تفرقون لله عظمة في التوحيد، فتوحدونه فإن لم توحدوه لم تعظموه.[78]

[76] النمل: 24 - 26
[77] نوح: 13
[78] تفسير مقاتل بن سليمان (4/ 450)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

وحقيقة تعظيم الله تعالى هو ألا تجعل للوصول إليه تعالى سببا غيره، بل هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلى الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدني إليه غيره، ولا يتوصل إلى رضاه إلا به، فما دل على الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه، ولا أدنى إليه غيره، فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا، فالسبب وسببيته وإيصاله كله خلقه وفعله؛ ثم لا ترى لأحد من الخلق -لا لك ولا لغيرك- حقا على الله، بل الحق لله على خلقه.[79]

العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضا، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى، والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حق عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت.[80]

مظاهر تعظيم الله في العبادات

من تعظيم الله تعالى: تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)[81]، وقال تعالى أيضا: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ)[82].

ومن تعظيمه: أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه؛

ومن تعظيم الله في العبادات: ألا يضيعها عن عما وضعت له، وألا يتحول بها عما أريد بها.

والعبادات نوعان: عبادات جسدية، وعبادات قلبية.

فالعبادات الجسدية يغلب عليها أنها محددة الوقت والمقدار والزمن، فمن تعظيم الله تعالى أن يقوم بها كذلك، فلا يؤخرها عن وقتها، ولا يخرج بها عنه، ويراعي مقدارها، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها شيئا.

وأما العبادات القلبية فمنها المراقبة قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)[83]، وقال تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)[84]؛ والإحسان، ففي حديث جبريل -عليه السلام- أنه «سأل النبي -صلى الله عليه

[79] مدارج السالكين (2/ 469)
[80] الحجة في بيان المحجة (1/ 142)
[81] الحج: 32
[82] الحج: 30
[83] البقرة: 235
[84] الحديد: 4

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

وسلم- عن الإحسان؟ فقال له: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[85]؛ والتوكل، قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[86]؛ والإنابة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى)[87]؛ والإخبات... إلخ

فرعاية هذه العبادات القلبية والجسدية مظهر من مظاهر تعظيم الله تعالى وعلامة من علامات امتلاء القلب بمحبة الله وتعظيمه.

الوسائل المعينة على ترسيخ تعظيم الله ورسله ودينه في القلوب

إن تعظيم الله تعالى لا يكون إلا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ونعوت جلاله، والنفوس العلية الزكية تعبده لأنه أهل أن يُعبد، ويُجل ويُحب ويُعظم، فهو لذاته مستحق للعبادة، قالوا: ولا يكون العبد كأجير السوء، إن أعطي أجره عمل، وإن لم يعط لم يعمل، فهذا عبد الأجرة لا عبد المحبة والإرادة.

فمن الوسائل المعينة على تعظيم الله تعالى العلم بأسمائه وصفاته تعالى.

فالعلم بأسماء الله وصفاته، هو السبيل لمعرفة الله حق المعرفة وتعظيمه حق التعظيم، وتقديسه وتمجيده وإخلاص العبادة له، فكل اسم من أسماء الله تعالى يدل دلالة عامة على عظمة الله وكماله ودلالة خاصة وأثراً خاصاً على كل ما يحتاجه الخلق في شؤون معاشهم ومعادهم ويربطهم بالعبودية الحقة لله تعالى.

فاسمه (الله) هو الذي تألهه القلوب أي تتعلق به وتنجذب إليه عبودية وحبًا ورغبة ورهبة، وإذا علم العبد أن الله تعالى بكل شيء عليم وأنه سميع بصير لا تخفى عليه سبحانه خافية اشتدت مراقبته لله تعالى؛ وإذا علم أن الله تعالى على كل شيء قدير وأنه فعال لما يريد لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء تواضع لله وخضع لعظمته وقدرته وسلم لله وآمن بقدرته واستصغر قدرة كل مخلوق؛ وإذا علم أن الله تعالى غفور رحيم ودود كريم حمله ذلك على التوبة والاستغفار وحسن الظن بالله وعدم القنوط من رحمته وعفوه؛ وإذا علم أن الله تعالى شديد العقاب عزيز ذو انتقام وأنه تعالى يغضب ويسخط من أعمال الكفر والمعاصي والفسوق امتلأ قلبه من خشية الله والخوف من عقابه فيردعه ذلك عن الوقوع فيما يغضب الله عز وجل؛ وإذا علم أن الله تعالى لا يحب الظلم ولا البغي وأنه ينتقم ممن ظلم وعصى ارتدع عن ذلك وكفّ عن أذى الناس وظلمهم.

قال الغزالي: "التعظيم حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من

[85] متفق عليه
[86] الأنفال: 2
[87] الزمر: 17

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

أصول الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه، والثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم"[88].

ومن الوسائل دوام المراقبة؛ قال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير، والمراقبة هي إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله، وهي خلوص السر والعلانية لله عز وجل.

ومن وسائل تعظيم الرسل تمثل أخلاقهم وإجلالهم وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله تعالى إياها، فقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)[89].

ومن محبة الرسل حسن التأسي بهم، وتحقيق الاقتداء بسنتهم وأخلاقهم وآدابهم والتسنن بسنن المصطفى ونوافله وتطوعاته، وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة.

ومن وسائلها الهجرة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالتحكيم له والتسليم والتفويض، والانقياد لحكمه، وتلقي أحكام الظاهر والباطن من مشكاته، فيكون تعبده به أعظم من تعبد الركب بالدليل الماهر في ظلم الليل، ومتاهات الطريق.

ومن محبة المصطفى وتعظيمه أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[90]

أعمال دالة على عدم رسوخ عظمة الله في القلوب

من الأعمال التي تدل على عدم رسوخ محبة الله في قلب صاحبها

1- تضييع الفرائض، فإن من ضيع فرائض الله دل على أن قلبه لم يمتلئ بعظمة الله تعالى.

2- الاستهانة بالمعاصي ومآلاتها، فإن الله تعالى حد حدودا من انتهكها وتجرأ عليها دل على قلة تعظيمه حرمات الله تعالى.

3- التكاسل عن الطاعات، وقد وصف الله تعالى المنافقين بقوله: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا

[88] إحياء علوم الدين (1/ 162)
[89] الأنعام: 90
[90] الحجرات: 1

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[91].

4- هجر القرآن، فإن هجر القرآن علامة من علامات عدم التعظيم لله تعالى، فإن من عظمه تعالى عظم كلامه ولم يتخذه مهجورا.

5- ومن الدلائل عدم تحري الحلال في المطعم والمشرب.

6- ومن الدلائل تسخط أقدار الله تعالى والاعتراض عليها وعدم التسليم لها.

خلاصة المحاضرة

- ينبغي لمن عرف حق عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله.
- من تعظيم الله تعالى تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال.
- العبادات بنوعيها مظهر من مظاهر تعظيم الله تعالى وعلامة من علامات امتلاء القلب بتعظيم الله.
- تعظيم الله تعالى لا يكون إلا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ونعوت جلاله.
- من الوسائل المعينة على تعظيم الله تعالى العلم بأسمائه وصفاته تعالى، ودوام المراقبة.
- من الأعمال التي تدل على عدم رسوخ محبة الله في قلب صاحبها: تضييع الفرائض، الاستهانة بالمعاصي، والتكاسل عن الطاعات، وهجر القرآن.

الأسئلة

- اشرح أهمية تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال وانعكاسه على تعظيم الله تعالى.
- العبادات بنوعيها مظهر من مظاهر تعظيم الله تعالى بين ذلك بالدليل.
- تناول أهمية معرفة الأسماء والصفات في تعظيم الله تعالى.
- تضييع الفرائض، الاستهانة بالمعاصي، والتكاسل عن الطاعات، وهجر القرآن كيف تؤثر هذه الأشياء في تعظيم الله تعالى.

[91] النساء: 142

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

السؤال	نعم	لا	الدرجة
هل كان موضوع تعظيم الله تعالى جديدا عليك بعناصره؟			
هل أضاف موضوع تعظيم الله تعالى لما عندك جديدا؟			
هل تناولت المحاضرة كل ما يدور بذهنك حول تعظيم الله تعالى؟			
هل فات المحاضرة أشياء كان يجب بيانها في مسألة التعظيم؟			
هل يمكنك عرض موضوع التعظيم لغيرك بعد قراءتك له وسماعك لشرح الأستاذ؟			
هل الأدلة التي قدمها على العناصر كافية؟			
هل تحتاج لمراجعة المحاضر في بعض الجزئيات؟			
هل تحتاج لمحاضرة ثانية في ذات الموضوع بتفصيل أكثر؟			

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الخامسة

الآداب والأسرار القلبية

للصلاة والزكاة

المحاضرة الخامسة

الآداب والأسرار القلبية للصلاة والزكاة

عناصر المحاضرة

في نهاية هذه المحاضرة يستطيع الطالب أن:

- يعرف الصلاة والزكاة لغة واصطلاحا
- ينتبه ببعض أحكام الصلاة والزكاة
- يذكر بعض آداب وأسرار الصلاة والزكاة
- يوضح الآثار التي تترتب على الصلاة والزكاة في النفس والمجتمع
- مقدمة عن الفرق بين الآداب والأسرار والأحكام

أولا: الآداب

الأدب: الخصال الحميدة، ولذلك بوبوا فقالوا: "أدب القاضي"، وتكلموا في هذا الباب عما ينبغي للقاضي أن يفعله وما ينبغي أن ينتهي عنه، وكذلك قالوا: "آداب الاستنجاء"، "وآداب الصلاة"؛ وعرفه بعضهم بقوله: الأدب: وضع الأشياء موضعها.[92]

قد يطلق بعض الفقهاء كلمة "آداب" على كل ما هو مطلوب سواء أكان مندوبا أم واجبا.

الأدب في الجملة هو مرتبة من مراتب الحكم التكليفي، وهو غالبا يرادف المندوب، وفاعله يستحق الثواب بفعله، ولا يستحق اللوم على تركه.

نثر الفقهاء الآداب على أبواب الفقه، فذكروا في كل باب ما يخصه من الآداب، ففي الاستنجاء ذكروا آداب الاستنجاء، وفي الطهارة بأقسامها ذكروا آدابها، وفي القضاء ذكروا آداب القضاء، بل صنف بعضهم كتبا خاصة في الآداب الشرعية، كالآداب الشرعية لابن مفلح، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وغيرهما[93].

فالآداب على هذا أعمال مصاحبة للتكليفات، تجملها وتجعلها في أحسن صورة، وهي خليقة بكل من رام قبول

[92] مراقي الفلاح (ص: 34)
[93] الموسوعة الفقهية الكويتية (2/ 346)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

عمله.

وقيل الآداب: عند الحنفية: معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ.

- عند الشافعية: هو المطلوب سواء كان مندوبا، أم واجبا.[94]

ويلاحظ أن كتب التزكية تستعمل الآداب في مجموعة من الأعمال الظاهرة والباطنة التي لا يتوقف عليها صحة العمل، بل هي أمور تتم العمل، وتجعل صاحبه متيقظا له، مراعيا كل جوانبه، فالغزالي مثلا يقول: "آداب الجمعة الأول: أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة".[95]

ويلاحظ أن هذا متمما للعمل، وممهدًا له ليدخل فيه العامل مهيئاً لأصل ما يقدم عليه.

ثانيا: الأسرار

يستعمل كتاب التزكية كلمة الأسرار مقترنة بالعمل للتعبير عن الغاية المرادة منه، فإذا قلنا ليس المراد من الصلاة الحركات والانتقالات، بل المراد هو إقبال القلب على الله وخشوعه بين يديه كان ذلك تعبيرا عن سر الصلاة، ونجد هذا في قول ابن القيم: "سرُّ الصلاة ولُبّها إقبال القلب فيها على الله، و حضوره بكلِّيته بين يديه، فإذا لم يقبل عليه و اشتغل بغيره و لهى بحديث نفسه، كان بمنزلة وافد وفد".[96]

وقد يستعمل في فضائل الشيء، كأن يقال لهذا الدعاء سر عظيم.

وقد تستعمل الأسرار ويراد بها حكمة الشيء، قال ابن القيم: "للشارع في أحكام العبادات أسرار لا تهتدي العقول إلى إدراكها على وجه التفصيل وإن أدركتها جملة"[97].

ثالثا: الأحكام

الأحكام المراد بها الحدود التي جعلتها الشريعة للعبادة كي تكون صحيحة مبرئة لما في الذمة، والأحكام لا تضمن قبول العبادة، بل تضمن صحتها، وسقوط المطالبة بها.

والأحكام يعنى بها الفقهاء في كتبهم، أما الأسرار فيعنى بها من يؤلف في التزكية، فعلى سبيل المثال الفقيه

---

[94] القاموس الفقهي (ص: 17)
[95] إحياء علوم الدين (1/ 180)
[96] أسرار الصلاة (ص: 7)
[97] إعلام الموقعين (2/ 67)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

يعني بنصاب الزكاة، ومراعي الأسرار يعلم أن كل ما بيده لله تعالى، وهذا ما عناه الشاطبي بقوله: "سئل بعضهم عما يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على مذهبنا فالكل لله وأما على مذهبك فخمسة دراهم".[98]

خلاصة القول:

الأحكام التي تتعلق بالعبادات صنعة الفقيه، فهو يبين شروط العبادة وأركانها، وما تكون به صحيحة؛ وكذلك بيان الأسرار صنعة فقيه التزكية والسلوك، وهو يعني مع أحكام الظاهر أحكام الباطن التي تجعل العمل مع صحته مقبولًا؛ أما الآداب فمشترك بين الفقيه وبين من يتكلم في التزكية والسلوك.

فالرياء في العبادة، لا يحبط العمل عند الفقيه، ولكنه يحبطه عند علماء السلوك، فمن صلى مرائيا أو زكى مرائيا سقط عنه الفرض عند الفقيه دون عالم السلوك، لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجه، فالأحكام للظاهر والأسرار للباطن، والآداب بين الظاهر والباطن، تارة يتكلم فيها الفقيه وتارة صاحب السلوك.

آداب وأسرار الصلاة

الصلاة هي الركن الأهم بعد الشهادتين، وهي أعظم العبادات وأفضلها قاطبة.

أولا: تعريف الصلاة

الصلاة لغة: بمعنى الدعاء، وهي في اللغة مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة.[99]

وبهذا تعرف أنها تطلق ويراد بها أحد هذه المعاني، ففي قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[100]، قال المفسرون: صلاة الله على خلقه رحمته وهدايته إياهم.[101]

فحين ترى لفظ الصلاة دائر على غير ما تعهد من معناها كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ)[102]، ويدور في ذهنك: كيف يصلي الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، فاعلم أن المراد أحد معانيها اللغوية.

الصلاة اصطلاحا: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.

---

[98] الموافقات (ص: 300)
[99] المصباح المنير (1/ 346)
[100] الأحزاب: 43
[101] معاني القرآن وإعرابه (4/ 231)
[102] الأحزاب: 56

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

وقد جاء التنزيل العزيز آمرا بها، وجاءت السنة كذلك، قال الله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ).[103]

وفي الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».[104]

ثانياً: آداب الصلاة

إن آداب الصلاة كلها لخصتها هذه القصة، التي أوردها أبو نعيم في الحلية حيث ذكر أن: (عصام بن يوسف مرَّ بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال: يا حاتم تحسن تصلى؟ قال: نعم قال: كيف تصلى؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالسبيل والسنة، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل، وأرجع على نفسي بالخوف أخاف أن لا يقبل مني وأحفظه بالجهد إلى الموت)[105].

فخلاصته أنه يراعي الآداب الباطنة للصلاة، فليست هي حركات عسكرية منتظمة في القيام والركوع والسجود والجلوس، بل مقترنة بآداب في كل حالة، يراعيها المصلي.

ثالثاً: أسرار الصلاة

تكمن أسرار الصلاة فيما ينبعث عنها من إقامتها، فإقامتها بالخشوع والخضوع كما أمر الله يحدث حيلولة بين صاحبها وبين الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[106].

والصلاة لا تعطي صاحبها هذه الميزة إلا بالتالي:

إتمام الأركان، والحرص على الجماعة، والحرص على انتظار الصلاة بعد الصلاة، ومراعاة الخشوع والحضور بين يدي الله تعالى، وحضور القلب.

ومن حكايات المصلين الذين وُهِبوا أسرار الصلاة، منصور بن المعتمر: كان يصلي في سطحه، فلما مات قال غلام لأمه: "يا أماه الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه"، قالت: "يا بني ليس ذاك بجذع، ذاك

---

[103] البقرة: 43
[104] متفق عليه.
[105] «حلية الأولياء» 8/ 74.
[106] العنكبوت: 45

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منصور قد مات".[107]

لقد جاءت الشريعة تأمر بإقام الصلاة، ولا تطلب أداءها، والفرق بين الإقامة والأداء أن الإقامة هي حالة تحول كامل لكل ما على الإنسان فخشوعه وحضوره يشمل حتى ملابسه، أما الأداء فلا يشمل هذا المعني.[108]

وليحذر المرء من فوات حظه من الصلاة، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل وكيف ذلك، قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها.[109]

آداب وأسرار الزكاة

الزكاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عبادة مالية لها أحكام وأسرار وآداب.

والزكاة لغة: النماء والزيادة.[110]

واصطلاحا: اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة.[111]

أولاً: أحكام الزكاة

الزكاة لها أحكام فقهية تختص بطبيعة المال الذي يحوزه صاحبه، فزكاة المال تختلف عن زكاة الزرع، وهما يختلفان عن زكاة الحيوان، وعروض التجارة؛ فكل نوع من هذه الأنواع زكاة تتحدد بمقادير شرعية زمنا وقدرًا.

وبعض أنواع الزكوات في هذا العصر غدا يخضع للاجتهاد حيث وسع الفقهاء دائرة الزكاة لتشمل عقود الاستصناع وغيرها من الأنشطة التجارية، فضلا عن إدخال المصانع وعقود الاستثمار وكافة الأنشطة المالية لحكم الزكاة، وإيجاب الزكاة في أنواع من الزروع وما تخرج الأرض على اختلافه.

ثانياً: آداب الزكاة

لا بد أن يتعامل المسلم مع الزكاة وفق أمرين:

---

[107] صفة الصفوة (2/ 65)

[108] في الموازيين يقولون الوزن القائم، أي كل ما تراه، أما الوزن الصافي فهو الشيء المقصود بالشراء، فالقائم هو الشيء وما يحويه، وهذا مقصود في الصلاة خشوع في كل شيء حتى ملابس المرء، وانظر حكاية منصور بن المعتبر أعلاه تعرف المعنى بجلاء.

[109] إحياء علوم الدين (1/ 172)

[110] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 254)

[111] المجموع (325/5)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

الأول: أنها من فرائض الله، ومن شأن المسلم أنه مع فرائض الله لا يجادل ولا يسأل ولا يعترض، قال الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)[112].

الثاني: أن يوقن أن المال مال الله وأن الذي أعطاه المال هو رب العالمين، وهذا المال هو بالأساس مستخلف فيه، قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ)[113]، وقال سبحانه: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)[114].

في حدود هذان الأمران فإنه إن أخرج الزكاة، فإن نفسه تطيب بإخراجها، فالأول يقتضي تسليمه لله، والثاني يقتضي يقينه بأن من أعطاه، يمكن أن يمنع عنه.

وذكر الغزالي لآداب الزكاة خمس آداب هي:

1- النية وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض.

2- البدار عقيب الحول أو الوجوب كما في الثمار.

3- أن يخرج المنصوص عليه.

4- أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر إلا لضرورة.

5- أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فإن استيعاب الأصناف واجب عليه.

ثالثاً: أسرار الزكاة

أما الأسرار الباطنة فمنها:

1- أن في المال حقوقا سوى الزكاة كثيرة.

2- أن الزكاة طهرة من أدران النفس ومنها البخل والتقتير.

3- شكر النعمة فإن لله -عز وجل- على عبده نعمة في نفسه وفي ماله.

4- أن يبتعد بإخراجه عن الرياء، والمن والأذى.

5- أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.

[112] الأحزاب: 36
[113] الحديد: 7
[114] القصص: 77

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

ويضاف لذلك أن يراعي اكتساب الحلال، ولا يتصور أن اكتساب غير الحلال ورعاية الأحكام الشرعية فيه تحله وتجعله طيبا، بل يظل خبيثا ولو أنفقه كله ما قبل منه.

ما يترتب على تحقيق هذه الآداب والأسرار في الصلاة والزكاة

إن من أهم ما يترتب على رعاية أسرار وآداب الصلاة والزكاة قيم وأخلاق لها انعكاس على نفس القائم بها، ولها انعكاس على المجتمع من حوله، فمن هذه الأشياء:

1- ديمومة الاتصال بالله تعالى، وانتباه الضمير والنفس دائما.

2- الشعور بالمساواة والأصل الإنساني الواحد فلا توجد صلاة للفقراء وأخرى للأغنياء.

3- ارتباط الصلاة بكثير من مكارم الأخلاق؛ ككف الأذى، والبعد عن الفحشاء والمنكر.

4- اليقين بأن التمكين في الأرض لا بد أن يستصحبه إقامة الصلاة.

5- طهارة المجتمع من أمراض الغل والكراهية، فطالما الغني يبذل من ماله للفقير فلن يلق منه شرًا.

6- طهارة النفس وتعاليها على شحها بالمال.

7- تحقيق معنى التعاون والجسد الواحد، فالصلاة توحد بين المؤمنين، والزكاة تشعر الغني بآلام الفقير.

8- أعظم الانتصار هو انتصار النفس على أمراضها، وهو ما تحققه الصلاة والزكاة.

خلاصة المحاضرة

- للعبادات أحكام ظاهرة، وآداب باطنة، وأسرار تظهر في انعكاسها على القائم بها.
- الصلاة أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم.
- ليست الصلاة حركات عسكرية منتظمة في القيام والركوع والسجود والجلوس.
- ينبغي الحرص على: إتمام أركان الصلاة، والحرص على الجماعة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وحضور القلب في كل ذلك.
- الزكاة اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة.
- الزكاة من فرائض الله، والمال مال الله.
- لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله، فيبتعد في زكاته عن المن والأذى.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

- أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه.
- الزكاة طهارة المجتمع من أمراض الغل والكراهية.
- في الصلاة والزكاة تحقيق معنى التعاون والجسد الواحد.

الأسئلة

- عرف الصلاة لغة واصطلاحا واذكر أهم ما يجب مراعاته فيها.
- عرف الزكاة لغة واصطلاحا واذكر أهم ما يجب مراعاته فيها.
- كيف تنعكس الصلاة والزكاة على الفرد والمجتمع.

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهاج

التزكية

المحاضرة السادسة

الآداب والأسرار القلبية

للصوم والحج

المحاضرة السادسة

الآداب والأسرار القلبية للصوم والحج

عناصر المحاضرة

- تعريف الصوم لغة واصطلاحا
- تعريف الحج لغة واصطلاحا
- بعض أسرار وآداب الصوم
- بعض أسرار وآداب الحج

لسنا بحاجة لإعادة الكلام حول الأحكام والأسرار والآداب التي تصحب العبادة، فلكل عبادة ظاهر وباطن، ولكل عبادة أحكام وأسرار وآداب، ولننتقل لتعريف الصوم.

تعريف الصوم ودليله

الصوم لغة: عبارة عن الإمساك؛ يقال صامت الخيل، إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح، إذا أمسكت عن الهبوب.

الصوم اصطلاحا: عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة، في وقت مخصوص.[115]

<u>دليله من القرآن</u>

قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ).[116]

<u>دليله من السنة:</u>

ما في الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».[117]

[115] «المغني» 4/ 323
[116] البقرة: 183
[117] سبق تخريجه

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

تاريخ الصوم في الأمم السابقة

الصوم لا يخص هذه الأمة فقط، بل الآية الكريمة تدل على أنه كان فيمن كان قبلنا من الأمم، قال الرازي: "هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى الله أمة من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم؛ وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله".[118]

وقد تنوعت أقوال السلف في توجيه صوم من كان قبلنا، فمما قيل:

1- عن ابن مسعود وغيره أنه قال: ثلاثة أيام من كل شهر، إلى أن نسخ بالقرآن.

2- وورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: هم أهل الكتاب.

3- وعن الحسن البصري -رحمه الله- قال: والله لقد كتب الصيام على كل أمة قد خلت، كما كتبه علينا شهراً كاملاً.[119]

ومهما يكن من أمر الاختلاف فيمن كتب الصوم عليهم، فيبقى أن الصوم عبادة تاريخية كانت على من قبلنا كل بحسبه، وفي التنزيل الحكيم: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)[120]، قال السدي: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام، كما يصوم عن الطعام، فلا يتكلم حتى يمسي[121]. وهذا نوع آخر من أنواع الصوم.

آداب وأسرار الصوم في الإسلام

للصوم أحكام وآداب وأسرار؛ فالصوم من بين العبادات اختص بكونه أضافه الله تعالى إليه، ففي الحديث: عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:" يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به...»[122].

فاختص الصوم بذلك لمعنيين:

1- أن الصوم كف وترك، لا يراه إلا الله عز وجل، فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد.

---

[118] تفسير الرازي (5/ 239)
[119] تفسير ابن كثير (2/ 179)
[120] مريم: 26
[121] تفسير البغوي (5/ 228)
[122] رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} برقم (7492)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

2- أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب.

فمن آداب الصيام الظاهرة:

مراقبة دخول الشهر، والنية في أوله، والإمساك عن سائر المفطرات، كالأكل والشرب والجماع، وما يلحق بها؛ وتمام الصوم وآدابه يكون بغض البصر، وحفظ اللسان عن سائر المنهيات كالغيبة والنميمة والفحش في القول، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه، وكف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل، وأن يكون قلبه بعد الإفطار معلقًا مضطربًا بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين.

أقسام الصيام:

الصوم ثلاث درجات:

1- صوم العموم، وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

2- صوم الخصوص، وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

3- صوم خصوص الخصوص، وهو صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.[123]

أسرار الصوم:

إن أسرار الصوم تعني الاستفادة من كونه فريضة تهذب النفس وترتقي بالفؤاد، فيشعر الصائم كأنه يحلق في الآفاق، فالصائم يتعبد بأسماء الله تعالى الصمد، وهو يتشبه بالملائكة التي من صفاتها أنها لا تأكل ولا تشرب، ثم هي لا تحمل غلا ولا حقدا، بل وتفرح بالعابد، وتريد للعباد الخير.

إن الصوم من هذا المساق تدرب على التخلص من شهوات النفس، أو التخفف منها، وتربي على كظم الغيظ، وإمساك اللسان، وهذا هو سر الصوم، وفي الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[124]

[123] إحياء علوم الدين (1/ 234)
[124] رواه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، (1690)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

عبادة الحج في الأمم السابقة

الحج لغة: القصد للنسك، وقيل: كثرة القصد إلى من يعظم، ثم استعمل في القصد إلى مكة للنسك.[125]

والحج اصطلاحًا: هو قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص.

الحج عبادة وشعيرة عظيمة، والوقف فيها عند حد ما أخبرنا الله تعالى، خاصة الحج لبيت الله الحرام، فإن الله تعالى قال للخليل -عليه السلام-: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا)[126].

وذكر ابن تيمية وغيره أن اليهود والنصارى لا يحجون، وإنما يحج المسلمون خاصة.[127]

لكن ربما يكون عند اليهود القصد للأماكن المعظمة عندهم نوع من الحج، وكذلك النصارى، وهو الزيارة لبيت المقدس محل ميلاد المسيح عليه السلام.

كذلك للهندوس حجا إلى نهر عندهم يعرف بنهر الغناج.

لكن الحج شعيرة منظمة دعا لها الخليل -عليه السلام-، والتزمها العرب بعده، فغيروا فيها وبدلوا لكنهم ظلوا على أصل الشعيرة، وهو تعظيم البيت الحرام، والكعبة المشرفة.

فرضية الحج

ثبتت فرضية الحج بالكتاب والسنة والإجماع

فمن الكتاب قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)[128].

ومن السنة ما في الصحيحين عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».[129]

آداب وأسرار الحج

لقد اقتضت حكمة الله -سبحانه وتعالى- ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم، وأن

---

[125] الدر النقي (2/ 376)
[126] الحج: 27
[127] شرح العمدة في الفقه (2/ 215)، وشرح مسند الشافعي (4/ 293)
[128] آل عمران: 97
[129] سبق تخريجه.

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

يكون زمامها بيد الشرع، فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد. ولما كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق مقتضى الاسترقاق، فإن الحج عبادة تظهر مدى التزام العبد بأمر الرب، ومدى سكونه إلى فرائضه، فإن النفس تألف ما لها علة معروفة أو قريبة، وتنشط له.

والحج عبادة غير معقولة المعنى، فالطواف، والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار وتقبيل الحجر، عبادات ربما توقف العقل فيها، لكن مر بنا أن تعظيم الله تعالى فريضة لازمة، ومن ناتج تعظيمه تعظيم أوامره بالانقياد، وهذا من أسرار الحج.

وإذا آمن المرء باسم الله الحكيم، علم يقينا أن لكل شيء حكمة وإن لم يقف هو عليها.

وينبغي لمن رام الفوز بثمار الحج أن يراعي التالي:

1- أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، ويرد ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه.

2- أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإن جبن شجعه.

3- أن تكون النفقة حلالاً.

4- ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن.

ومن آداب الحج أن يتحمل غيره، وألا يحمل الناس على مذهبه، فإن الحج يجمع العاقل وغيره، ويجمع المتعلم وغيره، ويجمع الصغير والكبير، واختلاف العقول والأذواق والبلدان والثقافات يؤثر على سلوك الناس، فلا تتأفف من الناس لأنهم ليسوا على طريقتك، ولا تلفظهم وتتمنى البعد عنهم لشذوذ أفعال بعضهم، ولذا نهى الإسلام عن الجدال في الحج، فمن باب أولى الخصومة.

وعلى الحاج أن يتذكر بتحصيل الزاد -زاد الآخرة- من الأعمال، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة يرائي فيها، وليتذكر إذا فارق وطنه ودخل البادية خروجه من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال، ويتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه، إذا لبس الإحرام لِبس كفنه، وإذا لبّى فليستحضر بتلبيته إجابة الله تعالى إذ قال: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ)[130]، ثم يتذكر بازدحام الخلق، وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم، موقف

[130] الحج: 27

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

القيامة، واجتماع الأمم في ذلك الموطن، فإذا رميت الجمار: يقصد بذلك الانقياد للأمر، وإظهار الرق والعبودية، ومجرد الامتثال من غير حظ النفس، فإذا لاحت له المدينة المنورة يتذكر أنها البلدة التي اختارها الله لنبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- وشرع إليها هجرته، وجعل فيها بيته، ثم مثل في نفسه مواضع أقدام رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عند تردده فيها، وتصور خشوعه وسكينته[131]. ثم يستحضر بعد الفراغ منة الله عليه أن اختصه من دون كثير من الخلق أن لبّى نداء خليله في عالم الذر.

خلاصة المحاضرة

- الصوم كف وترك، لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد.
- تمام الصوم وآدابه يكون بغض البصر وحفظ اللسان عن المنهيات كالغيبة والنميمة والفحش.
- الصوم ثلاث درجات، صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.
- الصوم يدرب المرء على التخفف من شهوات النفس، وتربي على كظم الغيظ، وإمساك اللسان.
- الحج شعيرة لا تعرف قبل الخليل إبراهيم -عليه السلام-.
- الحج عبادة مالية بدنية غير معقولة المعنى، تؤكد على عبادة التعظيم والتسليم لله تعالى.
- ليس كل ما لا يعقل معناه يرده العابد، والحج مثال على ذلك.

الأسئلة

- عرف الصوم لغة واصطلاحًا.
- عرف الحج لغة واصطلاحًا.
- تناول كيف تعزز شعيرة الصوم تهذيب النفس.
- اشرح كيف يؤسس الحج لشعيرة التعظيم والتسليم لله تعالى.

[131] مختصر منهاج القاصدين (ص: 48)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

السؤال	نعم	لا	الدرجة
هل كان موضوع الصوم والحج جديدا عليك بعناصره؟			
هل أضاف موضوع الصوم والحج لما عندك جديدا؟			
هل تناولت المحاضرة كل ما يدور بذهنك حول الصوم والحج؟			
هل فات المحاضرة أشياء كان يجب بيانها في الصوم والحج ؟			
هل يمكنك شرح فريضة الصوم وتشويق سامعك لها؟			
هل يمكنك شرح فريضة الحج وتشويق سامعك لها؟			
هل تحتاج لمحاضرة ثانية في ذات الموضوع بتفصيل أكثر؟			

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة السابعة

عبادة التفكر والتدبر

Ayaat Academy

المحاضرة السابعة

عبادة التفكر والتدبر

عناصر المحاضرة

- المراد بالتفكر وحقيقته وشرفه
- أهمية التفكر وفائدته
- كيف تتحصل عبادة التفكر؟
- مآلات التفكر وفوائده
- تفكر النبي صلى الله عليه وسلم
- ما يحذر منه من يريد التفكر

حقيقة عبادة التفكر والتدبر وشرفها

التفكر عبادة من العبادات العظيمة التي تجعل المرء يسرح في ملكوت الله تعالى متعجبا ملاحظا عظمة الله تعالى وكمال قدرته.

ربما لا يتصور بعضهم كون التفكر عبادة، وهو لا يشعر أن أول أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- كان الخلوة في غار حراء، ففي الصحيح «عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء...الحديث»[132].

الفكر حقيقته اللغوية: التأمل وإعمال الخاطر في الشيء.

وهو: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب.[133]

[132] رواه البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟(3)
[133] التعريفات (ص: 63)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

أهمية التفكر

جاءت آيات القرآن تحث المرء على التفكر فمن ذلك:

قوله تعالى: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ).[134]

وقوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ).[135]

وغير ذلك من الآيات.

وفي الصحيح قال -صلى الله عليه وسلم-: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذكر منهم: «ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه».[136]

وعن أبي الدرداء قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة.[137]

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله».[138]

قال الغزالي: "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره.[139]

فائدة التفكر

التفكر ليس فراغا يكون في حياة المرء، وليس وقتا مهدرا من حياته يبحث له عن ملء، بل هو عبادة يجد منها فوائد، ويتحصل المتفكر منها على خيرات حسان، فمن ذلك: تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة، والتفكر أفضل من جملة الأعمال، ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة؛ فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة؛ وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى، ولذلك قال

---

[134] البقرة: 219
[135] آل عمران: 191
[136] متفق عليه
[137] شعب الإيمان للبيهقي (1/ 135)
[138] الدر المنثور (1/ 239)
[139] إحياء علوم الدين (4/ 423)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا)[140].

الغفلة عن التفكر

إنما تقع الفترة باستيلاء الغفلة، وترك الاعتبار والفكرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)﴾.[141]

فذمهم وأوجب لهم النار بالغفلة عن آياته سبحانه، وإنما اطْمأنوا إلى الدنيا ولم يؤمنوا بالآخرة لغفلتهم عن الآيات الباهرة والدلائل الظاهرة، قال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.[142]

تحصيل عبادة التفكر وحصولها

يسير التفكر في طريقين:

1- أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا، فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادًا على مجرد قوله. وهذا يسمى تقليدا، ولا يسمى معرفة.

2- أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى، فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة، وهو أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين، وهما السماع عن أهميتها وكونها أولى من الأولى، والتفكر في طريق إيثار الآخرة على الأولى فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرًا واعتبارًا وتذكرًا ونظرًا وتأملاً وتدبرًا.

أقسام تفكر المرء

ينبغي للمرء التفكر وفق التالي:

1- التفكر في الفعل، هل هو مكروه عند الله أم لا؟

2- التفكر في أن الفعل إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه.

---

[140] طه: 113
[141] يونس:7، 8
[142] يوسف:10

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

3- التفكر في سؤال مفاده: الفعل المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه؟

فيفتش الإنسان صبيحة كل يوم في جميع أعضائه، فينظر في اللسان ويقول: إنه متعرض للغيبة والكذب والاستهزاء، فيقرر في نفسه أن ذلك مكروه عند الله تعالى، ثم يتفكر كيف يحترز من ذلك؛ ويتفكر في سمعه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام؛ وهكذا كل جارحة يتأتى منها وقوع الشر ولابسته، يفكر فيها، ويفكر كيف يحترز من مواقعة الحرام.

ثم يتفكر في الطاعات فينظر في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير؟

ويفتش عن جميع أعضائه وبدنه وأمواله، وأولاده فإن كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر.[143]

مآلات التفكر والتدبر في آيات الله القرآنية والكونية

من فوائد ومآلات التفكر:

1- أن التفكر في الكون يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل.

2- أن التفكر في الكون يكشف عن عظمة الخالق في خلقه، ويجعل المرء يقر بوحدانية الله تعالى ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسه على أخطائها فيزداد إيماناً وصفاء.

3- التفكر يشعر المرء دائما بحاجته إلى الله تعالى وفقره له، ويربي فيه تعظيم الله تعالى وتعظيم شرائعه وما يحب.

4- التفكر عبادة تزكو بالنفس وتصفي الفؤاد، وتزيل الهم، وتيسر السبل لتقبل الأقدار، وصروف الحياة.

نماذج من تفكر وتدبر النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مثالا في تطبيق عبادة التفكر، وكان يلفت نظر أمته إلى أهميتها وأهمية التخلق بها؛ فكان قبل البعثة يتحنث في غار حراء، وكان يفارق أحيانا بيت أهله ليخلو بربه تعالى مصليا وخاشعا، وكان ربما طلب أن يسمع القرآن من بعض أصحابه ليتفكر في المقروء منه؛ عن عبد الله بن مسعود

[143] إحياء علوم الدين (4/ 427) وما بعدها باختصار وتصرف

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

-رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اقرأ عليّ القرآن» قال فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري». فقرأت النساء حتى إذا بلغت: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) رفعت رأسي أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل.[144]

وكان السلف رضوان الله عليهم يستحبون طول الصمت لما يستجلبون به الورع والفكر، فليس أعون على التفكر من طول الصمت، وكان الواحد فيهم ربما حفر في بيته حفرة يتمثل القبر وينادي: (رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ (١٠٠))[145].

ومما يعين المرء على التفكر زيارة أصحاب البلاء في المشافي والبيوت، وزيارة الفقراء، وهكذا فإن من رأى مبتلى عرف نعمة الله تعالى عليه.

فليحذر المتفكر

ليحذر من التفكر فيما لا سبيل له إلى علمه كالتفكر في ذات الله تعالى

وليحذر التفكر في أمور ادخر الله تعالى علمها كالروح قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[146].

وليحذر من التفكر في أمور تقوده لشتات الذهن، لماذا يمرض الناس؟ لماذا يصابون بالأمراض؟ لماذا يمرض الأطفال ولا ذنب لهم؟ لماذا تمرض البهائم وتتألم؟ وهكذا فإن ما خفية حكمته لا يعني أنه لا حكمة له، وما خفيت علته لا يعني أنه لا علة له.

خلاصة المحاضرة

- أول أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- كان الخلوة في غار حراء.
- لا يجوز التفكر في ذات الله، ويحذر من التفكر في أمور تقوده لشتات الذهن.
- التفكر ليس فراغا يكون في حياة المرء، وليس وقتا مهدرا من حياته يبحث له عن ملء.

[144] متفق عليه.
[145] المؤمنون: 99، 100
[146] الإسراء: 85

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

- إنما تقع الفترة والبعد عن النشاط في العبادة باستيلاء الغفلة وترك الاعتبار والفكرة.
- ينبغي أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم في جميع أعضائه، اللسان، والجوارح، ويتفكر في موقفه من الطاعات.
- التفكر في الكون يورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويغرس فيها الخوف والخشية.
- التفكر يشعر المرء دائما بحاجته إلى الله تعالى وفقره له، ويربي فيه تعظيم الله تعالى وتعظيم شرائعه وما يحب.
- التفكر عبادة تزكو بالنفس وتصفي الفؤاد، وتزيل الهم، وتيسر السبل لتقبل الأقدار، وصروف الحياة.

الأسئلة

- اشرح كيف تكون الحاجة للتفكر عبادة مطلوبة على الدوام
- كيف تزيل فكرة أن عبادة التفكر عبادة فراغ والأعمال خير منها
- كيف يرتبط التفكر بالنشاط في العبادة، وكيف تسهم في تزكية النفس

هل كان موضوع التفكر غائبا عن اهتماماتك العبادية؟	
كيف تقنع من حولك بعبادة التفكر وتبين له طريقها؟	
هل لبت المحاضرة بموضوعها تصورك عنها قبل؟	
هل الوقت كان كافيا واستغله المحاضر بمهارة في توصيل المعلومات؟	
هل تم عرض الموضوع بشكل منطقي ومتسلسل خلال المحاضرة؟	
هل الأدلة التي قدمها على العناصر كافية؟	
هل تحتاج لمراجعة المحاضرة في بعض الجزئيات؟	

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

منهج

التزكية

المحاضرة الثامنة

الصدق

Ayaat Academy

المحاضرة الثامنة

الصدق

عناصر المحاضرة:

- التعرف على الصدق ومكانته وأنواعه.
- الانتباه بمظاهر الصدق في العبادات والمعاملات.
- الوقوف على آثار وفوائد الصدق على الفرد والمجتمع.
- توضيح انعكاس الصدق على المجتمع.
- عرض نماذج من صدق الأنبياء والسلف الصالح.

التعريف بالصدق

الصدق هو لبّ الإيمان وجوهره، وهو من أعلى مقامات السلوك، ومن أعظم ما تتزكى به النفوس وتتطهر.

والصدق لغة: مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدل على قوة في الشيء قولاً أو غير قول، والصدق نقيض الكذب

أما الصدق في الاصطلاح: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا.[147]

مكانة الصدق

للصدق مكانة لا تعدلها مكانة، وقد ورد على أنحاء عديدة في التنزيل الحكيم:

قال الله تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[148].

وقال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[149].

وقال سبحانه: (قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

[147] المفردات في غريب القرآن (ص: 478)
[148] التوبة: 119
[149] النساء: 69

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[150].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا..».[151]

قال ابن القيم: "منزلة الصدق وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين"[152].

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون صفة الصدق والأمانة هما الأبرز في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة، ولما أراد أن يجهر -صلى الله عليه وسلم- بالدعوة استمكن أولا من إيمان الناس بصدقه، ولما سأل هرقل أبا سفيان عن بعض أخلاق النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان سؤاله عن صدقه بين الناس، واستدل من صدقه بين الناس على صدقه في رسالته، لأنه ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى.

أنواع الصدق

الصدق ثلاثة: قول وعمل وحال.

الصدق في الأقوال، وهو: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال، وهو: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال، وهو: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطاقة.[153]

وقد أمر الله تعالى رسوله: أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق. فقال: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرً)[154]، وأخبر عن خليله إبراهيم -صلى الله

[150] المائدة: 119
[151] متفق عليه.
[152] مدارج السالكين (2/ 257)
[153] المرجع السابق (2/ 258)
[154] الإسراء: 80

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Corp. Canada

عليه وسلم- أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين. فقال: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)[155]، وبشر عباده بأن لهم عنده قدم صدق، ومقعد صدق، فقال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ)[156]، وقال: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥))[157].

فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

الصديق عزيز

قال عليّ -رضى الله عنه-: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك.

قال الأحنف لابنه: يا بنيّ، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يقبل قوله في عدوّه، ومن دناءة الكذب، أن الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوّه، لكلّ شيء حلية، وحلية المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل[158].

قال الجنيد: "حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب"[159].

مظاهر الصدق في العبادات والمعاملات

إن الصدق في العبادات هو أداؤها بالإخلاص والحب لرب العالمين، وأي عبادة خلت من صدق صاحبها فيها فإنها مردودة عليه، لأنها تقع بما يضاد الصدق وهو الرياء، والرياء في العمل محبط له، وهو صفة قبيحة من صفات المنافقين قال الله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[160].

وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة عالم ومجاهد ومنفق وشهيد، هؤلاء الأربعة بذلوا ما اختصوا بهم لقاء مرضاة الناس وطلب الثناء منهم.

فالصدق في العبادة هو بذل الجهد، والإخلاص إفراد المطلوب، فإذا تخلف بذل الجهد، وإفراد المطلوب حبط العمل.

---

[155] الشعراء: 84
[156] يونس: 2
[157] القمر: 54، 55
[158] نهاية الأرب (3/ 238)
[159] مدارج السالكين (2/ 265)
[160] النساء: 142

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

أما المعاملة فإن الصدق رأس مال الإنسان في مجتمعه، وقد أمرنا رب العزة بالصدق قولا وعملا ومعاملة، وحرمت الشريعة الغش لأنه مظهر من مظاهر الكذب، كما حرمت التدليس والغبن في البيع والشراء لأنها من مظاهر الكذب التي تنافي الصدق، كما حرمت العمل الذي يدخله الخداع واستغلال جهل صاحبه في التدليس عليه.

والصدق ليس مقصودا به طائفة من الناس، بل المطلوب هو الصدق مع كل الناس على اختلاف أديانهم وبلدانهم، فهو ليس حالة انتقائية مع الأقارب وأهل الدين الواحد، بل هو حالة إنسانية يجب أن تبذل لكل الناس في كل الأحوال.

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعود نفسه كذبًا قط، وهو المثل الأعلى والقدوة التامة، ولنا فيه المثل الأعلى -صلى الله عليه وسلم-.

آثار وفوائد الصدق على الفرد والمجتمع

يمكنك أن تعد أقوى الأشخاص الشخص الصادق في قوله وفعله:

فضلا عن الآثار النفسية التي يشعر بها الصادق، فيشعر الفرد الصادق براحة وطمأنينة دائمة، والصدق سبيل لنشر المحبة والمودة، والإنسان الصادق أقل عرضة للضغوط والمشاكل اليومية.

انعكاس صدق الأفراد على علاقتهم بغيرهم من الناس، فينتج الاحترام والتقدير والمحبة.

أما انعكاس الصدق على المجتمع فالصدق مجتمعيا وسيلة إثبات الدعاوى والشهادات التي تكون في توثيق العقود بين الناس، وهو وسيلة الثقة في الأخبار والحوادث التاريخية، فلو ارتفع الصدق فيها لبطلت للناس معايش شتى.

والصدق من أهم الأسباب في ارتفاع حاجز الحذر والكراهية في المعاملات، وهو يقي المجتمع من غائلة الغش، وخسران الأموال في المرذول من الصنائع حين لا يصدق فيها صانعوها.

والصدق هو محل الثقة المتبادلة بين البائع والمشتري، والمعلم والمتعلم، والجار وجاره، والطبيب والمريض...

ومن أمثلة انعكاس الصدق على المجتمع، وآثاره الطيبة ما في هذه القصة، فقد مر عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- بعجوز تبيع اللبن، فقال لها: يا عجوز، لا تغشّى المسلمين، ولا تشوبي لبنك بالماء، قالت: نعم يا أمير المؤمنين، ثم مرّ بها بعد ذلك، فقال يا عجوز، ألم أعهد إليك أن لا تشوبي لبنك بالماء؟ فقالت: والله ما فعلت يا أمير المؤمنين، فتكلّمت بنت لها من داخل الخباء، فقالت: يا أمّاه، أغشّا وحنثا جمعت على نفسك؟ فسمعها عمر

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

فأعجبته، فقال لولده: أيّكم يتزوّجها؟ فلعلّ الله أن يخرج منها نسمة طيّبة، فقال ابنه عاصم: أنا أتزوّجها يا أمير المؤمنين، فزوّجها منه، فأولدها أمّ عاصم، تزوّجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز[161].

فانظر للمجتمع حين يتعاطى فيه الكاذبون البيع، وحين يتقي فيه الصادقون ربهم.

إن الصدق هو رأس مال المجتمع الحقيقي، وما تعايش مجتمع بالصدق إلا أمن أهله على أموالهم وما لهم من الأمتعة والأعراض، وإذا فشا الكذب، استحلت الأموال وتبدل الأمن خوفا.

ومن أعظم ثمار الصدق ما فيه من البركة التي تعود على الصادقين، ففي الصحيح: عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما».[162]

فالبيع والشراء بل وكل معاملة الصدق بركتها دائما.

نماذج من صدق الأنبياء والسلف الصالح

لقد كان أنبياء الله تعالى المثل الأكمل في رعاية الصدق، وقد قدمنا ما كان عليه خاتم الرسل -صلى الله عليه وسلم- من كونه عُرف بين قومه بالصدق والأمانة.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل بالصدق فقال سبحانه: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا).[163]

وكذلك على إدريس عليه السلام فقال سبحانه: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا).[164]

وأثنى على الخليل أباه فقال سبحانه: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا).[165]

وأثنى على من تاب عليهم من المخلفين بعد قبول توبتهم فقال سبحانه: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).[166]

ومن صدق السلف ما روي أنه خطب بلال لأخيه امرأة قرشية، فقال لأهلها: نحن من قد عرفتم، كنا عبدين،

---

[161] نهاية الأرب (3/ 238)
[162] رواه البخاري، كتاب البيوع، باب: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا برقم (2110)
[163] مريم: 54
[164] مريم: 56
[165] مريم: 41
[166] التوبة: 119

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

فأعتقنا الله تعالى، وكنا ضالين، فهدانا الله تعالى، وكنا فقيرين، فأغنانا الله تعالى، وأنا أخطب إليكم فلانة لأخي، فإن تنكحوها له فالحمد لله تعالى، وإن تردونا، فالله أكبر. فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: بلال ممن عرفتم سابقته، ومشاهده ومكانه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فزوجوا أخاه، فزوجوه، فلما انصرفوا قال له أخوه: يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتترك ما عدا ذلك، فقال: مه يا أخي صدقت فأنكحك الصدق[167].

وخطب الحجّاج فأطال، فقام رجل، فقال: الصلاة، فإن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك، فأمر بحبسه، فأتاه قومه زعموا أنه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله، فقال: إن أقر بالجنون خلّيته، فقيل له، فقال: معاذ الله لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني. فبلغ ذلك الحجاج، فعفا عنه لصدقه.

وروي أنه كان لربعي بن حراش ولدان يطلبهما الحجاج، وكان ربعي لا يكذب قط، وكان الولدان يستخفيان من الحجاج، فاستدعاه فسأله عنهما، فقال له ربعي: هما في البيت. فقال له الحجاج قد عفونا عنهما بصدقك.[168]

تعقيب

لا يقتصر الصدق على الحديث، وإن كان الكلام ينطلق إليه حين يقال، بل الصدق يشمل أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فكلها تحتاج للصدق فيها بمجافاة الرياء وطلب الشهرة، فالصدق باب واسع، يرداف الإيمان في معناه.

خلاصة المحاضرة

- الصدق من أجل المقامات وأعظم الأعمال.
- الصدق صفة من صفات الرسل التي لا يجوز أن تتخلف قط عنهم في أي لحظة.
- الصدق يشمل الأقوال، والأعمال، والأحوال.
- الصدق في العبادات هو أداؤها بالإخلاص والحب لله تعالى.
- الصدق يقي المجتمع من معاملات السوء.
- أعلى درجات البشر بعد النبوة والرسالة درجة الصديقية المنسوبة للصدق.

[167] المستطرف في كل فن مستظرف (ص: 257)
[168] صفة الصفوة (3/ 36)

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

الأسئلة

- اشرح علاقة الصدق بالأقوال والأعمال والأحوال.
- الصدق له مقام من أجل المقامات وتنسب له أعلى الأوصاف تناول ذلك.
- كان السلف من أحرص الناس على صدق الحديث. بين ذلك.
- الصديق ينعكس على الفرد والمجتمع من حوله، كيف ذلك؟

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

مصادر ومراجع

1- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي

2- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني

3- الداء والدواء، لابن قيم الجوزية

4- صفة الصفوة، لابن الجوزي

5- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية

6- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي

أكاديمية آيات
Ayaat Academy

جميع الحقوق محفوظة لأكاديمية آيات
Ayaat Academy Crop. Canada

هذا الكتاب

لقد عني علماء السلوك والتزكية بتعزيز رقابة الضمير، وتحسين باطن العبادة؛ لما لحظوا أن الشريعة جاءت برفض العبادة التي تراعي الشكل ولا تراعي المضمون، يهتم صاحبها بالتنظير ولا يهتم بالسلوك، ومؤلفاتهم في أعمال القلوب ومقامات الدين شاهدة على ذلك، وهي محاولات مبكرة ظهرت في تاريخ الحضارة الإسلامية، لما أغرق بعض المسلمين بالمادية، وقلدوا غيرهم من الأمم في أنواع الترف.

وهذا الكتاب هو محاولة لتعزيز رقابة الضمير وقيمة الإيمان بالغيب في نفس الإنسان وفق تعاليم الشريعة، وهو يبين سبل التجاوز بالعبادة والأخلاق حدود الصحة إلى حدود القبول، وهو يمهد السبيل للوصول لرتبة الإحسان المرتبة الأعلى في مراتب الإيمان.

إنه المنهج التربوي والدليل القيمي الذي تقدمه أكاديمية آيات للعلوم الإسلامية لطلابها الكرام، تعينهم به على تزكية قلوبهم والارتقاء بأخلاقهم إلى العلياء التي يريدها لهم دينهم.

التعريف بالمؤلف

دكتوراه في الفلسفة جامعة القاهرة، مدرس أصول الدين والدعوة جامعة المدينة العالمية - ماليزيا، تخرج في الأزهر الشريف، كلية أصول الدين، وتخرج في دار العلوم، وحصل منها بعد تخرجه على الماجستير والدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، له عدة مؤلفات وبحوث علمية محكمة، وهو عضو محكم بعدد من المجلات العلمية، وأشرف وناقش عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه بعدة جامعات، وله مقالات في مجلات الأزهر، والوعي الإسلامي، والعربي، والمجتمع، وعدد من المواقع العالمية.

Caulfield Cres., Mississauga, ON L5M 6J7 - Canada 3054
Tel . : +1 (647)633-3491
E-mail : info@ayaatacademy.ca
ميساساجا - أونتاريو - كندا
www.ayaatacademy.ca

أكاديمية آيات
Ayaat Academy